مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة الثامنة، العدد الرابع عشر، ربيع وصيف ١٤٣٣هـ
صفحة ٥ – ٢٦

تحليل سيمائي لرائية ابن العرندس ومقارنتها مع أشعار معاصريه

آفرين زارع[١]*، طاهرة طوبايي[٢]

١. أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شيراز

٢. طالبة الماجستير في قسم اللغة العربية بجامعة شيراز

(تاريخ الاستلام: ٨٨/١/٢٢ ؛ تاريخ القبول: ٨٨/٤/١٢)

الملخّص

أدب الطف يكوّن قسما واسعاً من مواضع الأدب العربي واعتنى به كثيرٌ من الشعراء طوال القرون وإضافة إلى الشعراء يوجد عدد غير قليل من العلماء والفقهاء والأكابر الّذين سجّلت أقلامهم أشعاراً رائعة في حقل أدب الطف وبين هذا الجمّ الغفير من الأشعار، اشتهرت بعضها وأقبل عليها الناس إقبالاً واسعاً حيث تجري على كلّ لسان في كلّ زمان وابن العرندس الحلّي من شعراء وفقهاء القرن التاسع، قد أنشد قصيدة في مجال أدب الطف، اشتهرت بما هو المشهور عند علماء الإمامية أنّها لا تقرأ في مجلس إلاّ وقد حضره الإمام الحجة عليه السلام.

فهذه المقالة تحاول البحث عن أسباب نجاح هذه القصيدة خلال دراسة سيمائية تحليلية مقارنة بينها وبين أشعار معاصريه.

أهمّ نتيجة توصّلت إليها هذه المقالة، هي أنّ الدراسة السيميائيّة تساعد على تجلّي الجماليات الخفية في هذه القصيدة، وكشف الكنوز المعنوية المختبئة في طيّاتها؛ وعناصر السيميائية في "الرائيّة" تتجلّى في ما يلي:

ثنائيّة الدلالة في استخدام الأعلام، الزمكانيّة ودورها الحاسم في إلقاء المعنى، القشرة السلبية التي تحتوي على الوحدات الإيجابية المنسّقة، الانحرافات الصوتية والانزياح الاستبدالي.

الكلمات الرئيسية

أدب الطّفّ، ابن العرندس، رائيته الشهيرة، السيميائية، الإمام الحجّة عليه السلام، عاطفة صادقة.

---

* الكاتب المسؤول الهاتف: ٠٩١٢٢٩٠٢٩١٩ Email: a.zare@rose.shirazu.ac.ir

مقدمة

من يتصفّح الأدب العربي، يواجه الأدب الإسلامي كقسم كبير منه ويرى أدب الطّف من أرق أشعار هذا القسم وأروعها. أدب الطف قد نشأ منذ القرن الأول بعد حادثة كربلاء وامتدّ حتى عصرنا الحاضر وتتكون مادّته من كل ما جرى في صحراء الطّف من القتل والظلم والاستشهاد والشجاعة في الحرب والإسارة والصبر و... وفي كلمة رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، ومن الشعراء من خصّ شعره برثاء أهل البيت، ومنهم من تطرّق إلى هذا الموضوع كموضوع من الموضوعات، وابن العرندس الحلّي ممن قصر شعره على أهل بيت عليهم السلام مدحاً ورثاء، ومنها رائيته الشهيرة الّتي ذاعت سمعتها بسبب انتباه الإمام الحجة عليه السلام لها، والمعروف أنها لا تقرأ في مجلس إلاّ ويحضره إمام العصر عليه السلام.

هذه المقالة تحاول دراسة هذه القصيدة، دراسة سيميائية وتقارنها مع أشعار معاصري قائلها في مجال أدب الطف، لترى ما هي فاعلية السيميائية في التحليل الأدبي، لكن بعد عرض موجز عن حياة ابن العرندس وبيئته، وفي النهاية تقدّم نتيجة البحث.

وحريّ بالقول أنّ هذا الشعر لم يقم أحد بتعريفه قبل، ولم تدرس أشعاره.

حياته

هو الشيخ صالح بن عبدالوهاب بن العرندس الحلّي، الشهير بابن العرندس. والعرندس بمعنى العظيم والسيل الكثير والأسد الشديد (المرتضى الزبيدي، د.ت، مادة عردس؛ ابن منظور، ١٣٠٠، مادة عردس)، أحد أعلام الشيعة في الفقه والأصول وله كتاب «كشف اللآلي»؛ إنّه نظم الشعر في رثاء أهل البيت وأجاد، ويعدّ من الشعراء الشيعة في القرن التاسع، ولد في الحلة ونشأ فيها وتوفي سنة ٨٤٠ للهجرة وقبره في الحلّة ـ شارع المفتي ـ مشيدة عليه قبة بيضاء يزار ويتبرّك به (الأميني، ١٤٢٦، ج٩، صص٢٤-٢٥؛ شبّر، ١٤٠٩، ج٤، ص٢٨٧؛ خرمشاهي وفاني و صدر، ١٣٨٠، ج١٠، ص٣٤٩؛ دشتي، ١٣٧٩، ج١، ص٣١٠).

بيئته

بيئته الجغرافية

الحلّة، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، قد بنيت سنة ٤٩٥ للهجرة وعمّرها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيدي الأسدي وبنيت بها مساكن جميلة ودور فاخرة، وقصدها التّجار حتّى صارت من أفخر بلاد العراق. وبعد قتل سيف الدولة بقيت على عمارتها (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ج٢، ص٢٩٤). وبما أنّها قريبة من بغداد، تمتّعت من رقيّ حضارة بغداد. وبناؤها على بقايا مدن مثل بابل الّتي كانت مركزاً لتبادل الحضارات والثّقافات المختلفة، سبّب رقيّها العلمي والثّقافي، وبسبب قربها من النّجف الأشرف أصبحت مركزاً للشيعة ونشاطاتها العلميّة (الويري، ١٣٨٤، ص١٥٦).

بيئته السياسية

من الناحية السياسية، فقد كان يحكم تيمور لنك على العراق حتى سنة ٨٠٧ للهجرة، ثمّ بعده كان العراق بيد واحد من أبنائه حتّى قتل ذاك الولد في الحرب سنة ٨١٠ للهجرة. بعده استولى أخوه على الحكم حتّى سنة ٨٥٠ للهجرة، وقد كان هذا الحاكم يراعي العلوم والآداب في مملكته الواسعة، وخلال حكمه كان الأمن يعمّ البلاد، ولكن بعده عادت البلاد إلى الفوضى والاضطراب (ضيف، ١٤٢٨، صص٢٤٥-٢٤٦).

بيئته العلمية

بعد هجرة الشيخ الطوسي من بغداد إلى النجف سنة ٤٤٨ للهجرة، أصبح النجف الأشرف مدينة علمية للشيعة، وبعد وفاة الشيخ، بقي فيها تلامذته. وعندما تمّ بناء الحلة أسرع تلاميذ الشيخ إليها ليؤسسوا مدينة علمية. فشيوع العلم في الحلّة، أدّى إلى مهاجرة العلماء الشيعة إليها، وكثر فيها العلماء في كلّ علم وفنّ. وممّا يدلّ على ذلك هو تآليف وكتب مأثورة من علماء هذه المدينة في مختلف المجلات، كالفقه والأصول والحديث والتفسير أو الأدب العربي واللّغة العربيّة أو علوم أخرى كالتّاريخ والنّجوم والمنطق و... ويلمع بين العلماء الكبار أسماء أعلام من كبار الحلّة من الّذين ولدوا ونشأوا فيها أو هاجروا إليها، منهم ابن إدريس الحلّي، أوّل عالم شيعيّ ولد في الحلّة ودرس فيها، وهو الّذي أثّر أثرا بالغاً في رفع مكانة الحوزة العلمية، ثمّ العلّامة الحلّي الّذي له تلاميذ كثيرون في مجالات مختلفة، حيث نرى أكثر أعلام القرن الثامن هم من تلاميذه، وهناك أسر كثيرة في الحلّة اشتهرت بالعلم،

كأسرة ابن مطهر أو أسرة شاعرنا ابن العرندس (الويري، ١٣٨٤، صص١٥٧-١٦٨).

ومما يلفت النظر هو أنّ أكثر العلماء أو الفقهاء كانوا شعراء أيضا، ولهم مدائح ومراث في أهل البيت عليهم السلام، كشاعرنا ابن العرندس الّذي كان متضلّعا بالفقه والأصول.

مما سبقت الإشارة إليه، يبدو أنّ الحلّة بصفتها مركزاً شيعياً، بقيت على نشاطها العلمي والثقافي فترة الانحطاط، ونهض منها علماء وشعراء كبار، لكلّ منهم قدرهم وشأنهم في مجال اختصاصهم.

بيئته الأدبية

ما واجهته الحلّة في هذه الحقبة هو ظهور الشعراء الخاملي الذّكر من الشّيعة، الّذين تدور أشعارهم في مدح أهل البيت أو رثائهم أو ذكر فضائلهم؛ كأنّ شعراء مدرسة الحلّة كانوا يريدون الذبّ عن الأفكار والعقائد الشيعيّة، كما يذكرهم العلامة الأميني، ويشير إلى شاعر واحد من الحلّة من شعراء القرن السابع، ومن القرن الثامن يشير إلى الشاعرين، ومن القرن التاسع إلى ثلاثة شعراء لكلّ منهم غديريّات في الدّفاع عن عقيدة الشّيعة (الأميني، ١٤٢٦، ج٩، ص٨)، وسيّد جواد شبر عند بيان ترجمة شعراء القرن التاسع، يتحدّث عن عشرة شعراء، خمسة منهم من الحلّة (شبر، ١٤٠٩، ج٤، صص٢٣٥-٢٣٦). ومما يجدر ذكره هو أنّ بعض هؤلاء الشّعراء كانوا عالمين أو فقهاء أو محدّثين كما كان طابع العصر؛ إذ لم يكن الشعر آنذاك مقتصراً على طبقة خاصة من الناس، والحلّة لم تكن خارجة عن هذا الإطار.

دراسة قصيدة

إطار القصيدة ومضامينها

اشتهر ابن العرندس الحلّي بقصيدته التي اشتهر بين الأصحاب أنها لم تقرأ في مجلس إلا وحضره الإمام المهدي عليه السلام، وهذا مطلع القصيدة:

طوايا نظامي في الزمان لها نشر يعطّرها من طيب ذكراكم نشر

(يعقوبي، ١٩٥١، ج١، صص١٤٥-١٤٧)

القصيدة تألّفت من ١٠٢ بيت، سبعة عشر بيتا في بداية القصيدة كمقدّمة يتحدّث الشّاعر فيها عن شعره ثمّ يسلّم على أهل الطفوف ويبدي مدى حبّه لهم وحزنه عليهم، ثمّ يأخذ يسكب

الدّموع على ديارهم. ومن البيت الثامن عشر يمدح الإمام الحسين عليه السلام، والبيت هو:

إمـام الهـدى، سـبط النبـوة والـد الأئمـة ربّ النّهـى مـولى لـه الأمـر

ويدخل في مدحه للإمام الحسين عليه السلام مدح النبي ووالديّ الإمام عليه السلام وكلّ أبياته مأخوذة من الأحاديث المأثورة في الإمام عليه السلام سيشار إليها، كأنّه يريد نشر فضائله عليه السلام. ثمّ في البيت الثامن والعشرين يتلهّف الشاعر على الإمام عليه السلام وما جرى عليه:

فـوا لهـف نفسـي للحسـين ومـا جـنى عليـه غـلاة الطـف في حربـه الشـمر

ثمّ يشرح ما جرى في صحراء الطّف:

رمـاه بجـيش كـالظّلام قسـيّه الـ أهلّـة والخرصـان أنجمـة الزهـر
فلمّـا التقـى الجمعـان في أرض كربلاء تباعـد فعـل الخـير واقتـرب الشـرّ
هنـاك فدتـه الصـالحون بـأنفس يضـاعف في يـوم الحسـاب لهـا الأجـر
فيالـك مقتـولا بكتـه السـماء دمـا فمغـبرّ وجـه الأرض بالـدّم محمـرّ
ملابسه في الحرب حمر من الدماء وهنّ غداة الحشر من سندس الخضر

والشّاعر في هذه الأبيات يشرح ما جرى في كربلاء مبدئاً بوصف جيش العدوّ حيث يشبهه بالظلام لكثرته أو لظلمة قلوب الجنود في الجيش، ويتكلّم عن اجتماع شمل بني أمية في الجيش، ويشير إلى ما وعد يزيد، عمر بن سعد من ولاية العراق والرّي، وعزم عمر بن سعد على الحرب. ثمّ يصف التقاء جيش يزيد وأنصار الإمام عليه السلام، ويراه تباعد الخير واقتراب الشّر، كما يشير إلى شجاعة الإمام وكرّه وهجمته على جيش العدوّ، ويتكلّم عن أنصار الإمام عليه السلام الصّالحين الّذين فدوا به أنفسهم، هم الّذين لهم الأجر المضاعف في يوم الحساب. إنّهم نصروه وذبّوا عنه متطوّعين، مثل حرّ بن يزيد الرّياحي الّذي جاد بنفسه لإمامه. ثم يرجع إلى الإمام عليه السلام ويخاطبه بأسلوب التّعجب، ويصفه قتيلا بكت السماء عليه دما، واغبرّ وجه الأرض لقتله. في البيت الواحد والخمسين يصف ملابس الإمام عليه السلام فإنّها محمرّة من الدّم لكنّها في المحشر مخضرّة من السندس.

ثمّ في الأبيات الأربعة اللاحقة يتعرّض لموضوع إسارة الإمام زين العابدين عليه السلام، وسبي نساء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ولهفـي لـزين العابـدين وقـد سـرى أسـيرا علـيلا لا يفـك لـه أسـر

ثم نرى الشاعر يصوّر يوم القيامة وحضور السيدة الزّهراء وشكواها إلى الله تعالى، مما

جنى على ابنها، ويتمّ هذا التصوير خلال هذه الأبيات الأربعة:

فويل يزيد من عذاب جهنّم إذا أقبلت في الحشر فاطمة الطهر
ملابسها ثوب من السمّ أسود وآخر قان من دم السبط محمرّ
تنادي وأبصار الأنام شواخص وفي كلّ قلب من مهابتها ذعر
وتشكو إلى الله العليّ وصوتها عليّ ومولانا عليّ لها ظهر

حيث يصف الشاعر مجيء السيدة الزهراء في المحشر وثوبها أسود خالطته حمرة قانية من دم فلذة كبدها وهي تنادي، لكنّ الناس قلوبهم وجلة وأبصارهم شاخصة من هيبتها. وهي تشكو إلى الله العليّ بصوت عال وظهيرها في شكواها، بعلها، الإمام علي عليه السلام.

ويواصل الشاعر تصوير يوم القيامة في الخمسة اللّاحقة متحدثاً عن حال يزيد ـ لعنة الله عليه ـ في ذاك الوقت مبدئا بهذا البيت:

فلا ينطق الطاغي يزيد بما جنى وأنّى له عذر ومن شأنه الغدر

وعندما تشكو السيدة الزهراء مما جنى يزيد على ابنها، لا يتمكن يزيد من التكلم، ولا يجد لنفسه عذراً. وأنّى له عذر وهو من الغاوين والمطربين والمعتكفين على الخمر، يُحكم له بالجحيم ويُحرم عليه النعيم.

يواصل ابن العرندس قصيدته ويتطرّق إلى موضوع الأخذ بالثأر وذكر الإمام الحجة المنتظر عليه السلام كأنّه يريد سلوان قلبه، وتشفّي قلب كلّ الشيعة، فيبشّر الإمام المنتقم بكلّ ثائر يثور لأولياء الله:

فليس لأخذ الثأر إلا خليفة يكون لكسر الدين من عدله جبر
تحفّ به الأملاك من كلّ جانب ويقدمه الإقبال والعزّ والنّصر
تظلّه حقّا عمامة جدّه إذا ما ملوك الصّيد ظلّله الجبر
محيط على علم النّبوة صدره فطوبى لعلم ضمّه ذلك الصدر

فلا يثأر للإمام الحسين عليه السلام إلّا الّذي يجبر بعدله ما كسر من الدين؛ الّذي يحفّه الملائكة ويعزّه وينصره، وعمامة جدّه كظلّ على رأسه وعلم النّبوة في صدره.

ويمدح الإمام الحجة عليه السلام في أربعة عشر بيتاً، ويضمّ مدحه للإمام عليه السلام مدح أجداد الإمام؛ لأنّه عليه السلام سليلهم ونجلهم عليهم السلام:

هو ابن الإمام العسكري محمّد التقي النقي الطاهر العلم الحبر

وبهجـــة مولانـــا الإمـــام محمـــد إمـــام لعلـــم الأنبيـــاء لـــه بقـــر
ســـليل حســـين الفـــاطمي وحيـــدر وصـي فمـن طهـر نمـى ذلـك الطهـر

في هذه الأبيات يذكر الشاعر أجداد الإمام الحجة عليه السلام، كابرا بعد كابر، مبيّنا مناقبهم وفضائلهم، كإشارته إلى علم الإمام الباقر عليه السلام، وطهارة الإمام الحسين والإمام علي عليهما السلام:

وعندما ينتهي من ذكر الإمام الحجة عليه السلام، يتطرّق إلى بيان فضائل جميع الأئمة في خمسة عشر بيتا مبدئا بهذا البيت:

هـم النّـور نـور الله جـلّ جلالـه هـم التّين والزّيتون والشّفع والوتر

فهذه الأبيات مستلّة من الأحاديث المأثورة من الأئمة أو الأدعية أو الزيارات، ومن البيت الثالث والتسعين كأنه يدخل في خاتمة شعره:

عـلا بهـم قـدري وفخـري بهـم غـلا ولو لا هم ما كان في الناس لي ذكر

ويرى ذكره وقدره وفخره بأهل البيت ثم يخاطبهم ويبدي مدى حزنه وبكائه عليهم:

مصـــابكم يـــا آل طـــه مصـــيبة ورزء علـى الإسـلام أحدثـه الكفـر
ســأندبكم يـا عـدّتي عنـد شـدّتي وأبكـيكم حزنـا إذا أقبـل العشـر
وأبكـيكم مـا دمـت حيـا فـإن أمـت ســتبكيكم بعـدي المراثـي والشـعر

ويقول أبكيكم وأندبكم مدّة حياتي وبعد حياتي ستبكي وتندب عليكم أشعاري ومراثيّ فيكم. ثم يشير إلى عجز الواصفين عن مدحهم عليهم السلام:

وكيـف يحـيط الواصـفون بمـدحكم وفي مـدح آيـات الكتـاب لكـم ذعـر

ثمّ يجعلهم عليهم السلام وسيلته وذخره ليوم القيامة، ويبدي مدى حبّه لهم عليهم السلام:

جعلـــتكم يـــوم المعـــاد وســـيلتي فطـوبى لمـن أمسـى وأنـتم لـه ذخـر
سـيلبي الجديـدان الجديـد وحبّكم جديـد بقلـبي لـيس يُخلقـه الـدّهر

ثم يسلّم عليهم وينهي القصيدة بهذا البيت:

علـيكم ســلام الله مــا لاح بــارق وحلّت عقـود المـزن وانتشـر القطـر

أسلوبه الأدبي (دراسة سيميائية، الصور الدلاليّة)

أسلوب شعر ابن العرندس لا يختلف كثيرا عمّا كان طابع العصر من سهولة اللّفظ واستعمال المحسّنات البديعيّة، ولاسيّما اللّفظية منها، فألفاظ شعره سهلة ليّنة بسيطة ليس فيها غموض

ولا خشونة ولا صعوبة، والمعاني واضحة، وأحيانا يوجد فيها بعض الإبداع. هذه السهولة جنب الإبداع يقدم للمتلقي صوراً دلالية بديعة، فهنا عزمنا على أن نبين هذه الصور الدلالية على أساس سيميائية النص والثالوث السيميائي أي: (الدال، المدلول، الموضوع) فالصور الدلاليّة من هذا المنظور لا تكون إلاّ تبييناً لانزياحيّة النص (خرق الاعتياديّة)؛ فالسيمائية هي عمليّة إجرائية في النص تريد الكشف عن نظام العلامات، أي (الوحدات اللفظية)، بوصفها علامة قائمة بذاتها، وذلك بإزاحة البنية الفنية وإلحاقها بالبوتقات المختلفة، نحو: التشاكل، والتباين والتناص والتقاين والانزياح. فهنالك إشارات خفيّة ولمحات طفيفة من السيميائية التي تشعبت أطرافها في الأجواء النقدية، وذلك لتبيين النقاط الحاسمة في قصيدة ابن العرندس (راجع: مرتاض، ٢٠٠٥، صص١٤-١٦؛ كورتيس، ٢٠٠٧، صص٥٥-٦٠؛ وغليسي، ٢٠٠٨، صص٢٢٧-٢٤٢).

الشاعر حينما يبتدع في مثل هذا البيت:

محـيط علـى علـم النبّـوة صـدره　　فطـوبى لعلـم ضـمّه ذلـك الصـدر

يريد أن يجعل الصدر أعلى مرتبة من العلم الذي يحل فيه؛ فهو لغايته هذه يستخدم ثلاث مكونات دلاليّة:

الأول: التكرار في كلمة «صدر» لرفعته وأهميته.

الثاني: التجسيد ضمن استعارة خفيّة، وذلك حينما يغتبط العلم الذي يستوعب الصدرَ، والغبطة لا تكون إلاّ للكائن الحي، وكأنّ العلم لعلوه ورفعته يكون ذا شخصيّة إنسانيّة، هذا العلم بهذه الصفة لا قيمة له إلاّ بواسطة الصدر الذي ضمه.

الثالث: تقليب المعنى الدلالي (خرق العادية): العلم في إيحائيته العادية يرفع صاحبه، ولكن هذا البيت عكس الموضوع، بغية رفع صاحب العلم حيث يعتقد، طوبى لعلم ضمه ذلك الصدر، ولا طوبى لصدر استوعب هذا العلم. فهذا لعب دلالي جميل يتبين في الثالوث السيميائي التالي:

الدال	الموضوع	المدلول
استخدام المكونات الثلاثة التكرار　التجسيد　التقليب	بيان رفعة الإمام	تكرار كلمة الصدر استخدام التجسيد تقليب المعنى الدالي

ومما يواجهه القارئ في شعره كثيرا، هو استعمال الأعلام في الأبيات:

حبّـي بـثلاث مـا أحـاط بمثلهـا　　ولي، فمـن زيـد هنـاك ومـن عمـرو

زيد دوما مضروب عمرو، وذلك التضارب لا غاية فيه ولا فائدة، فكأنما زيدٌ وعمرو في هذا البيت يمثلان عموم الناس الذين اشتغلوا بما لا يسمن ولا يغني من جوع. فالشاعر تركهم وهم في لعبهم يخوضون، واستمسك بحبّ آل البيت عليهم السلام؛ الحبّ الذي هو الحق والحقيقة. فالثالوث السيميائي لهذا البيت يتمثل في النموذج التالي:

الدال	المدلول	الغاية الدلالية (الموضوع)
١. تقديم الحبّ بشكل المصدر الدال على الثبوت ٢. الإتيان بالاستفهام ٣. استخدام العلم (زيد وعمرو) للتمثيل واستحضار الصورة	حبّ آل البيت ثابت وأولى من كل شيء من زيد ومن عمرو؟ وضَرب زيد عمراً «فهذا المثال النحوي المشهور صار أداة للو صول إلى الإيحائية الدلالية.	بيان إعراض الشاعر عن الناس الغافلين والإستمساك بحب آل البيت عليهم السلام

فعينـاي كالخنسـاء تجـري دموعهـا وقلـبي شـديد في محبّـتكم صـخر

ففي هذا البيت، ثنائية إيحائية كامنة؛ إذ الشاعر يستخدم كلمة الخنساء، وهي الشاعرة الجاهلية التي طار صيتها برثاء أخيها صخر، فهذه هي الدلاليّة الأولى. والشاعر لبيان حزنه يشبه نفسه بالخنساء التي جرت سيول الدموع من عينها في رثاء أخيها صخر.

وأما الدلالية الثانية الكامنة: فالخنساء لفظاً بمعنى البقرة الوحشية، وهي التي تتميز بوسعة العين والجثة، فكأنّ الشاعر شبه نفسه بالمها وكأن عينيه عينا المها في الوسعة، ثم يوسع مساحة المكان الذي يتمظهر فيه الحزن وهو العين، وثمة يقول: قلبي في محبتكم صخر. والصخر لغة بمعنى الحجرالعظيم الصلب، فمحبته محبة عظيمة صلبة لا تزعزعها العواصف ولا يؤثر عليه قول العواذل. فهذه الثنائية الدلالية تتمظهر في الرسم التالي:

الثنائية الدلالية	الإيحائية الدلالية في البنية السطحيّة	تشبيه الشاعر نفسه بالخنساء الشاعرة ومحبته كمحبتها لصخر أخيها.
	الإيحائية الدلالية في البنية العميقة	تشبيه الشاعر نفسه بالبقرة الوحشية لأن لها عينين واسعتين وتشبيه عظمة حبّه لآل البيت بالحجارة الضخمة الصلبة التي لا تتزعزع.
	الغاية الدلالية	بيان الحزن وكيفيته وبيان مقادير المحبة التي يكمنها الشاعر في صدره.

ولــو لا هــم لم يخلــق الله آدمـــا ولا كـان زيـد في الأنـام ولا عمـرو

هذا البيت يوضح بأن زيداً وعمراً اللذين يمثلان عبث الناس ولهوهم، لم يبصرا النور إلاّ بعد ما خلق ـ سبحانه وتعالى ـ آل البيت عليهم السلام . والنبي آدم وهو أبو الناس أجمعين، لم يكن يخلق إلاّ بحرمة الرسول وآل بيته.

ثم ما يظهر في قصيدته ظهوراً بارزاً هو الطباق بين الوحدات اللفظية، ومن نماذجه:

إمـام بكتـه الإنـس والجـن والسـما ووحش الفلا والطير والبرّ والبحـر
وجـال بطـرف في المجـال كأنّـه دجـى اللّيـل في لألاء غرّتـه الفجـر

هذان البيتان يمثلان الدلالية الزمكانية، فترى الشاعر يردف الوحدات المكانية: السماء، الفلا والبر والبحر، وثمة يذكر الزمانية الكامنة في الكلمة: الليل والفجر، وهذه الدلالية توسيع للحزن وعدم تحديد مداه، وهذان العنصران تلبسا بثياب الطباق، وذلك لتعميق استيعابية حزن الشاعر في نطاق الزمكانية. أنظر إلى النموذج الدلالي:

	الغاية الدلالية	الواسط الدلالي	العنصر	
النموذج الزمكاني الدلالي	توسيع دائرة الحزن ليقترب إلى اللانهاية	١. الوحدة الزمكانية	المكان	السماء، الفلا / البحر، البر
		٢. الطباق	الزمان	دجى الليل / غرة الفجر

سـبايا بـأكوار المطايـا حـواسر يـلاحظهنّ العبد في النّاس والحـرّ
فـذلّي بكـم عـزّ وفقـري بكـم غنـى وعسري بكم يسر وكسري بكم جبر

وهذان البيتان أيضاً يمثلان دلالية الطباق وهو بسط دائرة الإيحائية، فحينما يقول: العبد والحر، يعني به كل الناس أجمعين. أو حينما يتكلم عن الذلة، يتحول بواسطة الطباق إلى عزّ سرمدي. فما يرنو إليه الشاعر هو نقطة التوسيع في التحول والتقليب، حيث يلتحق الذل إلى نقطة تقابلية وهي العز، كما أن الفقر يتحول غنىً إثر هذا الطباق؛ فهذه الرؤية التوسعيّة التي خيمت على النص إثر الطباق، تتابع في الشطر الأخير؛ إذ العسر يصبح يسراً والكسر يصبح جبراً.

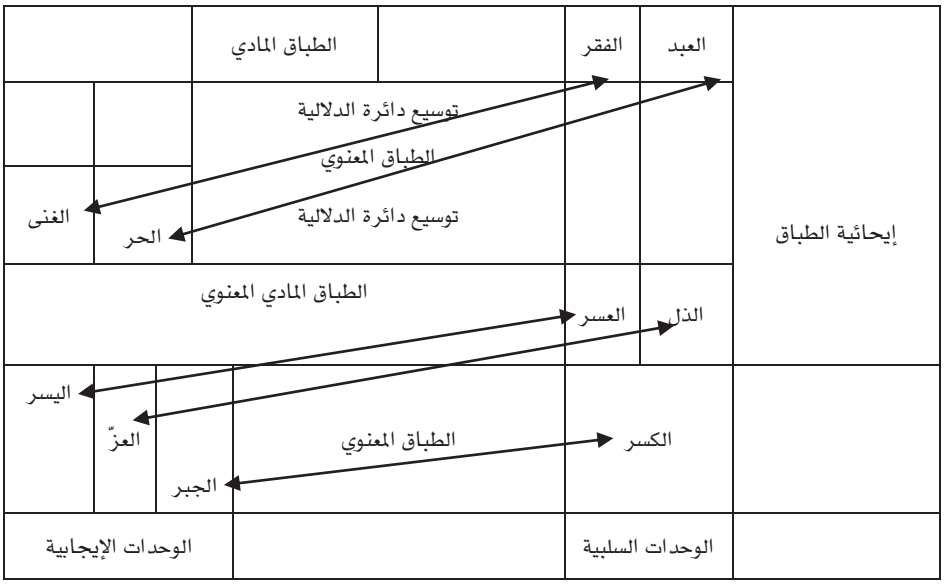

فقد جعل الشاعر التضاد بين وحش الفلا وطيرالسما ثمّ البرّ والبحر في البيت الأول، وبين اللّيل والفجر في البيت الثاني، والعبد والحر في البيت الثالث، وبين الذلّ والعزّ والفقر والغنى ثم العسر واليسر في البيت الرابع؛ فكل من الألفاظ المتضادة تشكل مجموعة من الوحدات الدلالية المشتركة:

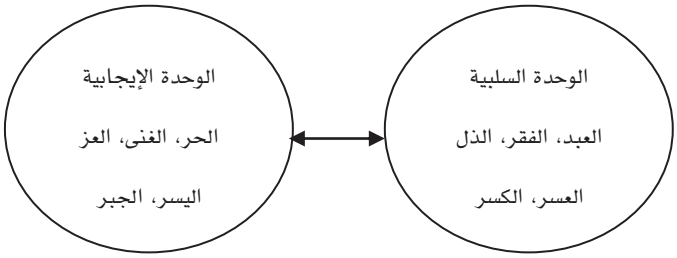

فهذا الطباق يحتوي على سلسلة من المترادفات التتابعية الخفية، فالعبد يصبح فقيراً، والفقر يسبب الذل، وهما يؤديان إلى العسر، فهذه الأمور كلها تسبب الانكسار في شخصية الإنسان، وهذه هي الوحدة السلبية.

أمّا الوحدة الإيجابية التسلسليّة فتتمثل في الحر الذي يكون غنياً، والغنى يسبب العزة، وهما يجلبان اليسر، واليسر يجبر القروح ويحول أتراح الشخص إلى الأفراح.

والجناس من الانحرافات الصوتية التي تؤثر على نضوج دلاليّة النص ويقع في دائرة السيميائية الصوتية (أيقونة السمعيّة)، ففي الأبيات التالية تتمظهر هذه الدلالية، إثر الإنزياحية الصوتية التي تشكل فرعاً من فروع السيميائية. ومن هذه الانزياحات السيميائية هو التكرار الصوتي الذي يوجده الجناس بشكل خاص، نحو:

وتشـــكو إلى العلـــي وصـــوتها علـــي ومولانـــا علـــي لهـــا ظهـــر

الوحدة الصوتية: العين + اللام + الياء تكررت في الثالوث الدلالي الذي يتجلى في الخريطة التالية.

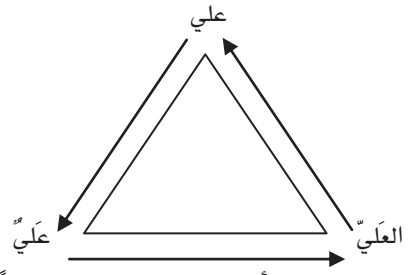

وهذا التكرار في الوحدات الصوتية أعطى للنص قدرة إيحائيةً رائعة وهي الرفعة، يبدأ البيت من غاية الارتفاع ومنتهاه، أي العلي وهو الله سبحانه وتعالى ثم يتبعه "علي" الذي جيء به للاستعلاء ثم باح الشاعر بالمقصود الذي استهدف إصابته في دلاليته، وهو الإشادة بالإمام علي عليه السلام. والسير الدلالي الموجود سيرٌ منطقيٌ تسلسلي يبدأ من الله سبحانه حتى يصل إلى أفضل العباد وذلك لتبيين مستوى العلوّ والرفعة. ونحو:

فـراق فـراق الـروح بعـد بُعـدكم ودار برسـم الـدار في خـاطري الفكـر

الجناس في هذا البيت أحدث وحدة صوتية سطحية، ووحدة معرفية متعمقة.

ففي الوحدة الصوتية السطحيّة يتجلى تكرار التجاور بين "فراق وفراق"، و"بعد وبعد" وذلك من دون النظر إلى الوحدة المعنويّة. ففي الوحدة المعرفية ننظر إلى الوحدة المعنوية التي تتفاوت مع القشر الصوتي، فالفراق الأول يتجزأ والفراق الثاني يشكل وحدة لفظية واحدة من دون تجزئة.

فراق
١. ف + راق ⟸ حرف + فعل = وحدة صوتية سطحية
٢. فراق ⟸ اسم = وحدة معرفية عميقة

ونحو:

سنان سنان طارق منه في الحشا وصارمُ شمر في الوريد له شمر

وحدة صوتية سطحيّة: سنان + سنان ← تكرار تجاور في: شمر وشمر

← تكرار فونيمات واحدة (س ـ ن ـ ا)

وحدة معنوية عميقة: تبرز التباينات المعنوية في هذه الوحدة، فيتكلل العمل الإيصالي بالنجاح.

يتبين معيار السيمائية الانزياحية وكيفيته في النموذج التالي في (سنان وسنان):

الوحدة المكررَة	درجة الانزياحية
سنان	علم (اسم شخص) ← الايحائية ← أعلى الرمح
شمر	علم (اسم شخص) ← الإيحائية ← المسرع، المدرج

فهنا تلاعب بالألفاظ وانتقال من المعنى العام إلى المعنى الخاص، ففي الشطرين الأول والثاني، انتقال من معنى خاص وهو شمر (علم)، إلى المعنى العام (شمر) بمعنى المسرع، المدرج.

ومن الملحوظ أن استعمال الجناس ودلالته السيميائية في نطاق انزياحية الصوت والدلالة لم يؤد إلى خلل في القصيدة ولم يصعّب فهم المعنى على القارئ، بل أضفى إلى روعة الشعر وجماله؛ لأنّه قد وقع موقعه ولم يكلّف الشاعر نفسه للإتيان به، وما حمّلت الألفاظ على المعنى بل حضر المعنى وخضع اللفظ له، فأحدث جناسا مطبوعا إثر هذه الازدواجية (اللفظ والمعنى)، اللهم إلا في بيت من الأبيات يشاهد ملامح التصنّع؛ نحو:

فذاك الغنا في البعث تصحيفه العنا وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر

كأنّ الشاعر كان يريد أن يجري الجناس بين "الغنا والعنا" وبين "الخمر والجمر" ولم يرشد إلى معنى يمكنه استعمال هذا الجناس فما وجد حلّا إلا أن يقول: إن العنا تصحيف الغنا وأيضاً الجمر تصحيف الخمر. فكأنّه ما جاء بهذا الجناس في البيت عفوا من بديهة

خاطره كما كانت الحال في سائر الأبيات؛ بل فكر كيف يجد كلمة متجانسة للغنا والخمر ثم كيف يجري الجناس بينهما، وأخيراً وجد الحلّ في التصحيف.

وممّا يوجد في ألفاظ وتعابير القصيدة بكثرة، هو استعمال التعابير والمصطلحات القرآنية، فالقارئ أمام شاعر استمدّ من التعابير القرآنيّة لبيان ما يريده:

فلمّا التقى الجمعان في أرض كربلا تباعد فعل الخير واقترب الشر

هذا الاقتباس يوحي ببعض المعاني الدلاليّة الخاصة:

الأول: التشبيه الكامن: الجمعان في الآية أهل النار وأهل الجنة كأنه شبه الإمام الحسين وأصحابه بأهل الجنة كما شبه أعداءه بأهل النار، وأرض كربلاء هي ساحة القيامة القائمة.

الثاني: الاستعارة التصريحيّة وهي تتمظهر في وحدتين ← ١. فعل الخير ← ٢. الشر

أنظر إلى البنية العميقة الدلاليّة:

الاستعارة التصريحية	بنية الدلالي العميقة	فعل الخير: كل الأفعال الحسنة شبهت بإنسان ثم شبه الإمام بذاك الإنسان ثم حذف المشبه وبقى المشبه به توكيدا على مثالية الإمام لفعل الخير
	البنية السطحية	«فعل الخير»
	بنية الدلالي العميقة	شبه الشرالموجود في العالم كله بإنسان ثم شبه الأعداء بذاك الشر ثم حذف المشبه وبقى المشبه به.
	البنية السطحية	«الشر»

الشر كإنسان والأعداء ذلك الإنسان نفسه

فعل الخير كإنسان والإمام ذلك الإنسان نفسه

فهنالك اقتباس في "فلّما التقى الجمعان"، من هذه الآية: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٦٦).

والشر هنا صفة ثابتة، والأعداء لم يزالوا باقين على شرهم الثابت؛ وفعل الخير: هو الإمام وهو الوحيد في الخير أي الخير كله.

ونوح به في الفلك لما دعا نجا وغيض به طوفانه وقضي الأمر

الاقتباس من الآية الكريمة، أعطى إيحائيّة خاصة للبيت وكأن الإمام هو نوح وأتباعه في سفينته المطمئنة، وصلوا إلى مطمئن الأرض. وحين انتهاء واقعة كربلاء واستشهادهم قضي الأمر، والحق استقرّ في مكانه. وكما أن أعداء نوح هلكوا بسبب الماء وفيضانه فأعداء الحسين عليه السلام، أدركهم العذاب إثر منعهم الماء عن الإمام وأصحابه، أي كأن الماء فاض عليهم وأهلكهم. فالنموذج الدلالي يتمثل في النموذج التالي:

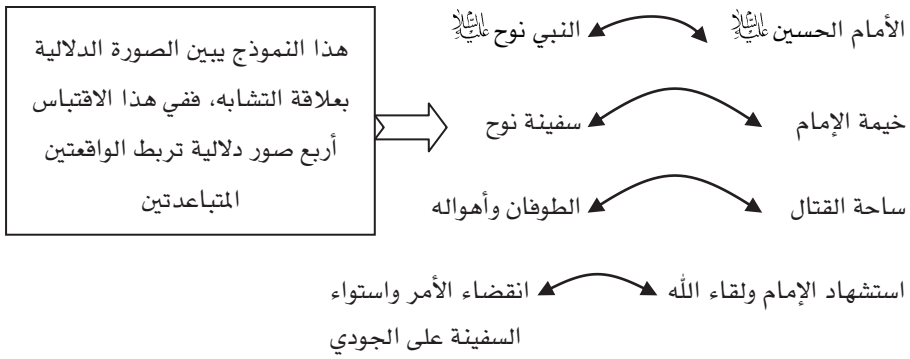

يوحي هذا البيت حكاية نوح الموجودة في القرآن ونهاية قصته في هذه الآية الكريمة: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (هود: ٤٤).

وسـخّرت الـرّيح الرّخـاء بـأمره ... فغـدوتها شـهر وروحتـها شـهر

الشطر الأول مقتبس من هذه الآية: ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ**﴾ (ص: ٣٦)، والشطر الثاني تلميح إلى هذه الآية الكريمة: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**...﴾ (سبأ: ١٢).

والنبي سليمان نموذج في القدرة الكبيرة التي وهبه الله إيّاها؛ إذ سخر له جميع الكائنات من الجن والإنس والرياح والطيور. قال الشاعر كأنّ سليمان ومعه هذه القدرة ما خلق إلاّ بفضل الإمام الحسين، ولولاه لما وجد هذا ولا نظيره؛ فالعلاقات الدلاليّة إثر هذه الموازنة جاءت لتبين مدى رفعة الإمام وتقربه عند الله سبحانه وتعالى.

ولمـا سـليمان البسـاط بـه سـرى ... أسـليت لـه عـين يفـيض لـه القطـر

فاقتبس الشاعر في هذا البيت من ألفاظ هذه الآية الكريمة: ﴿... **وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**...﴾ (سبأ: ١٢).

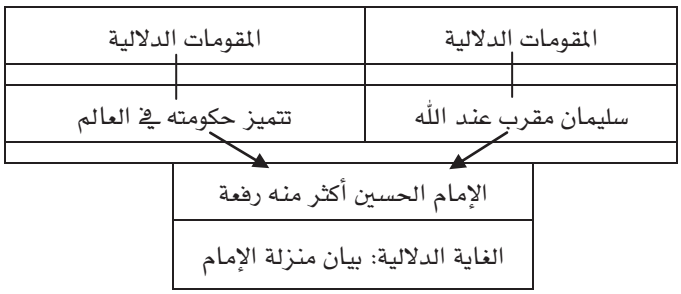

ثم مما أضاف إلى جمال القصيدة وروعتها وسبب أن يناط الشعر بالقلب، هو أنّ الشاعر حينما يمدح الإمام عليه السلام أو الأئمة كلّهم بفضيلة، لا يأتي بشيء من عند نفسه يمدحهم، بها بل يمدحهم عليهم السلام بكلّ فضيلة فيهم يعرفها من الأحاديث المأثورة منهم عليهم السلام.

ففي كل بيت أثر من حديث أو فقرة من الأدعية والزيارات، وإليك نماذج منها:

مهـابط وحـي الله خـزّان علمـه ميـامين في أبيـاتهم نـزل الـذكر

الإمام الصادق عليه السلام: «يا أبا بصير نحن شجرة العلم ونحن أهل بيت النبي وفي دارنا مهبط جبرئيل، ونحن خزّان علم الله ومعادن وحي الله...» (المجلسي، د.ت، ج٢٦، ص٢٤٠).

ولـو لا هـم لم يخلـق الله آدمـا ولا كـان زيـد في الأنـام ولا عمـرو
ولا سـطحت أرض ولا رفعـت سمـاء ولا طلعـت شمـس ولا أشـرق البـدر

الإمام الباقر: «... ثم قال لمحمّد وعزّتي وجلالي وعلوّ شأني، لولاك ولو لا علي وعترتكما الهادون المهديون الرّاشدون ما خلقت الجنة والنار ولا المكان ولا الأرض ولا السماء ولا الملائكة ولا خلقا يعبدونني...» (المجلسي، د.ت، ج٢٥، ص١٩).

وبما أن القصيدة في الرثاء، فأساليب مثل النداء والندبة تؤثر على خلق أجواء الحزن في القصيدة:

فيـا سـاكني أرض الطفـوف عليكم سـلام محـبّ مـا لـه عـنكم صـبر
فوا لهف نفسي للحسين ومـا جنى عليه غداة الطف في حربه الشمر
ولهفي لـزين العابدين وقـد سـرى أسـيرا علـيلا لا يفـك لـه أسـر

الدلالة الصوتية التي أوجدته الفونونيمات في هذا المقطع تتناسق ومعنى الرثاء، فالرقة التي يتطلبها هذا الموضوع تتجلى في كميات الحروف المستعملة، حيث نرى بأنّ الحروف المرققة تكثر في هذه الأبيات الثلاثة التي أتينا بها نموذجاً كما أن التكرار في النواح والندبة يُلزم حضور حرف الراء في القصائد التي أنشدت في الرثاء. مد الصوت وامتداده ميزة أساسية في الندب والرثاء وذلك يتمظهر في المراثي:

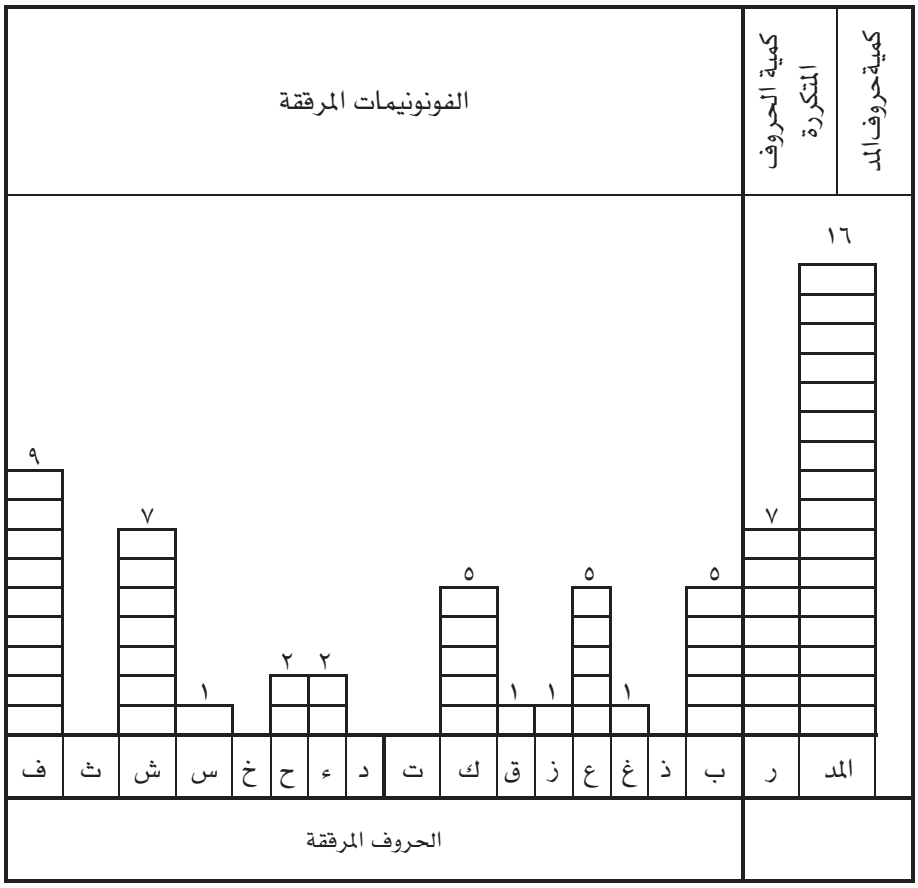

فالمد تكرر في هذا المقطع القصير ست عشرة مرةً، والراء التي تتميز بميزة التكرار تكررت سبع مرات. فهذا اللهف والحسرة يتكرر بتكرار حرف الراء ضمنيّاً، في طيّات الكلام. والمد هو التأوه الكامن والندب الظاهر وضع أوزاره على الجو الصوتي في هذه الأبيات.

والرثاء هو العاطفة الصادقة التي تبرز بالرقة الدقيقة والطراوة المحزنة؛ فالحروف الرقيقه التي تكونت القصيدة منها شغلت حيزاً كبيراً من الوحدات الصوتية. فالصوت والدلالة المعنوية يتكاتفان ويتماشيان في سير منطقي معقول. فالصوت يعضد المعنى كما أنّ المعنى يوسع استيعابية الدلالات الصوتية.

وإضافة إلى كلّ هذا، من يقرأ القصيدة يشعر بأنّ كلّ بيت منها منبعث من قلب كئيب مهموم محزون، ويرى عاطفة صادقة تموج في أنحاء القصيدة ويرى الشاعر، يخاطب أهل

البيت عليهم السلام مخاطبة محبّ، حيث ينبع كلامه معهم عليهم السلام من سويداء قلبه. وبعد ما شرح ما جرى في صحراء الطف، يتألّم بكلّ وجوده ولا يرى تسلية لقلبه ولا قلبهم عليهم السلام، إلا أخذ الثأر بيد الإمام المنتظر عليه السلام، ويطوّل الكلام فيه ويرجو ذلك اليوم.

مقارنة رائية ابن العرندس مع أشعار معاصريه

فمن ينظر إلى قصيدة ابن العرندس نظرة عامّة، يجد أن ليس فيها إبداع أدبي أو شيء مستحدث، وكلّ ما استعمله الشاعر من الأساليب والألفاظ والمعاني، لم يكن خارجاً عما كان طابع العصر، ولا سيّما طابع أشعار الشيعة في منطقة الحلّة. فعند دراسة أدب الطف في القرن التاسع، نجد بين شعراء هذا القرن خمسة منهم من الحلّة: الشيخ رضي الدين رجب بن محمد البرسي م. ٨٣٤هـ. هو كان يسكن الحلّة، وتاج الدين الحسن بن راشد الحلّي م. ٨٣هـ. كان من أكابر العلماء والفقهاء والشعراء، وشاعرنا ابن العرندس الحلّي، ثم الشيخ مغامس بن داغر الحلّي م. ٨٥٠هـ. ثم محمّد بن حمّاد الحلّي قد توفّي في أواخر القرن وهو أيضاً من أكابر علماء الشيعة ومحدّثيهم وشعرائهم (شبر، ١٤٠٩، ج٤، صص٢٢٣-٢٢٥).

بعد إمعان النظر في قصائد هؤلاء الشعراء يظهر أن القصائد لا تختلف بعضها عن بعض من حيث الأسلوب والمضمون. فإطار القصائد كإطار قصيدة ابن العرندس مع اختلاف قليل، وهو تقدّم أو تأخّر بعض المعاني. فمثلا نرى الشيخ البرسي يدخل في واقعة الطف بهذا البيت:

فيا أمة قد أدبرت حسين أقبلت ... فوافقها نحس وفارقها سعد

ابن العرندس استعمل هذا المعنى حيث يقول:

فلمّا التقى الجمعان في أرض كربلا ... تباعد فعل الخير واقترب الشر

وللشيخ البرسي في أنصار الإمام عليه السلام:

أمام الإمام السبط جادوا بأنفس ... بها دونه جادوا وفي نصره جدّوا

ولابن العرندس:

هناك فدته الصالحون بأنفس ... يضاعف في يوم الحساب لها الأجر

وحادوا عن الكفار طوعاً لنصره ... وجادله بالنفس من سعده الحر

ولكن الشيخ البرسي تطرّق إلى وصف الأنصار في أبيات أكثر من ابن العرندس، ويصف حملة الإمام على العدوّ بهذا البيت:

فيحمـــل فـــيهم حملـــة علويـــة بها للعوالي في أعالي العدى قصد

لكن ابن العرندس يصفها هكذا:

لـــه أربـــع للـــرّيح فـــيهنّ أربـــع لقـد زانـه كـر ومـا شـانه الفـر

ففـرّق جمـع القـوم حتّـى كـأنّهم طيـور بغـاث شـتّت شملهم الصـقر

فكلاهما أشارا إلى شجاعة الإمام عليه السلام لكن بألفاظ مختلفة وبعد هذا يتطرّق الشيخ البرسي إلى قضية الأسر والسبي، كما تطرّق ابن العرندس. فهذا الشيخ البرسي يقول:

وتضحى كريمات الحسين حواسرا يلاحظهـا في سـيرها العبـد والحـر

وهذا المعنى عند ابن العرندس حيث يقول:

سـبايا بـأكوار المطايـا حواسـرا يلاحظهـن العبـد في النـاس والحـر

فالمعنى واحد والألفاظ المستعملة قريبة بعضها من بعض، فكلا الشاعرين يؤكدان على أنّ السّبايا كنّ حاسرات وكان يلاحظهنّ كلّ الناس عبداً كان أو حراً غير أنّ ابن العرندس يشير إلى إسارة الإمام السجاد عليه السلام دون الشيخ البرسي.

ثمّ بعد هذه القضية، لابن العرندس أبيات في وصف يوم القيامة سبقت الإشارة إليها دون الشيخ البرسي. ثمّ يدخل في قضية أخذ الثأر بيد الإمام الحجّة عليه السلام، كما دخل الشيخ البرسي، فالشيخ البرسي بعد قضية السبي يقول:

ولـــيس لأخـــذ الثـــأر إلا خليفـــة هـو الخلـف المـأمول والعلـم الفـرد

وهذا بيت ابن العرندس:

ولـــيس لأخـــذ الثـــأر إلّـــا خليفـــة يكون لكسر الدّين من عدله الجبر

فالشيخ البرسي لا يرى خليفة لأخذ الثأر إلّا الإمام الحجّة، وهو العلم الفرد المؤمّل، والشيخ صالح بن عبد الوهّاب يصفه بأنّه عليه السلام يجبر كلّ مكسور في الدّين. فالمضامين مشتركة بين القصيدتين وأيضاً قصائد الشعراء الحلّيين الثلاثة الأخرى، غير أنّ قضية الإمام الحجة توجد في قصيدة ابن العرندس والشيخ البرسي وتاج الدين الحسن بن ارشد الحلي دون قصيدة ابن داغر الحلّي وابن حمّاد الحلّي.

ومن حيث الأسلوب بما أنّ الشعراء كلّهم في عصر واحد وعن بيئة واحدة وكلّهم شيعة، لا نرى بونا شاسعا بين القصائد؛ فمثلا الشّيخ البرسي كابن العرندس أشار في قصيدته إلى

الأعلام كدعد وهند:

وأضحت تجرّ الحادثات ذيولها عليه ولا دعد هناك ولا هند

وأيضاً استعمال التضاد والطباق:

فيا أمة قد أدبرت حين أقبلت فوافقها نحس وفارقها سعد

أو هذا البيت:

سبايا بأكوار المطايا حواسرا يلاحظهنّ العبد في الناس والحرّ

فجعل الشاعر التضاد بين أدبرت وأقبلت، ووافقها وفارقها، ونحس وسعد، والعبد والحر.

لكن من جهة الجناس لا نرى الأشعار مليئة به كما كانت الحال في رائية ابن العرندس.

ومن جهة الألفاظ، فألفاظ كلّهم سهلة كألفاظ ابن العرندس. وأحيانا نرى الألفاظ والعبارات متكررة بين الأشعار، لأنّ الواقعة واحدة فالألفاظ المعبّرة عنها واحدة، إلّا أن الشيخ تاج الدّين الحسن بن راشد الحلّي استعمل ألفاظا تختلف عن ألفاظ معاصريه من شعراء الحلّة فمثلا يقول:

وصالوا قد صامت صوافن خيلهم وحلّت لوقع المرهفات القوانس

فأظهر بأرض الطفّ صرعى لحومهم تمزّقها طلس الذئاب اللغاوس

وأكفانهم نسج الرياح وغسلهم من الدم ما مجت نحور قوالس

فالكلمات الّتي اختار الشاعر لوصف الواقعة، تختلف عمّا اختاره هؤلاء الشعراء. فهو يعبّر عن الحادثة بهذه الألفاظ: «صالوا، صوافن، القوانس، الذئاب اللغاوس وقوالس»، ويمكن أن تكون القافيه سبب اختيار مثل هذه الألفاظ أو الألفاظ سبب لاختيار قافية السين المضمومة.

وما يلفت النظر في هذه الدراسة هو التشابه التامّ بين قصيدة ابن العرندس وقصيدة الشيخ البرسي من حيث الإطار والمضمون وتقدّم وتأخر المواضيع المطروحة والألفاظ والأساليب. فيبدو أنّه ليست في قصيدة ابن العرندس ميزة خاصة تميّزها وتجعلها موضع عناية الإمام المهدي عليه السلام إلّا عاطفة شاعرها الصادقة المنبعثة من سواد قلبه وإخلاصه في حبّه لأهل البيت عليهم السلام وحزنه عليهم، ثم حالته النفسيّة الّتي أنشد شعره في تلك الحالة.

النتيجة

أولا: أدب الطف يشكل قسما كبيرا من ساحة الأدب العربي. وهو ما يصور واقعة كربلاء ومآتمها التي أثرث أثرا ملحوظا على النفوس، وذلك أنه لم ينبعث عن الخيال بل هو الحقيقة الحقة التي سجلها التاريخ بيد الكثير من المؤرخين والشعراء و...

ثانيا: هنالك من طار صيته في الآفاق وأخذت قصائده بمجامع القلوب، إذ نالت قصيدته القبول وحظيت بعناية الإمام الحجة نحو ابن العرندس الحلي في رائيته الشهيرة.

ثالثا: دراسة رائية ابن العرندس دراسة سيمائية كشفت جانبا من الجماليات الخفية التي احتوت عليها القصيدة هذه. فالبنية العميقة تنزاح انزياحا دلاليا عن البنية السطحية، فتتمظهر آنذاك الكنوز المعنوية التي اختبأت في طيات الكلام. عناصر السيميائية في الرائية تتجلى في الأمور التالية: ثنائية الدلالة في استخدام الأعلام؛ الزمكانية ودورها الحاسم في إلقاء المعنى؛ القشرة السلبية التي تحتوي على الوحدات الإيجابية المنسقة؛ الانحرافات الصوتية من كميّة الفونيمات المرققه والمد؛ الاستعارة أي الانزياح الاستبدالي الذي يوجد ثنائية الدلالة في النص.

رابعا: مع أن هذه القصيدة تتميز بميزاتها الخاصة من صوتية ودلالية، لكنها لم تكن تمتاز بعقد فريد لا يشق غباره، بل العامل الوحيد الرئيس الذي أدى إلى هذه العناية هو إخلاص الشاعر وعاطفته الصادقة وحالته النفسيّة التي ساعدته على إنشاد هذه القصيدة الثمينة التي لمعت في سماء أدب الطف.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٣٠٠هـ). لسان العرب. مصر: المطبعة المصرية.

٢. إيكو، أمبرتو (٢٠٠٥). السيميائية وفلسفة اللغة. ترجمة أحمد الصمعي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

٣. الأميني، عبدالحسين (١٤٢٦هـ). موسوعة الغدير في الأدب والكتاب والسنة. قم: مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي.

٤. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (١٩٩٥). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.

٥. خرمشاهي، بهاء الدين؛ فاني، كامران؛ صدر، أحمد (١٣٨٠ش). دائرة المعارف تشيع. طهران: نشر سعيد محبي.

٦. دشتي، سيد مصطفى (١٣٧٩ش). معارف ومعاريف، طهران: مؤسسة آراية الثقافية، ط٣، ١٣٧٩.

٧. المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (دون تا). تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة: دار الطباعة المهدية.

٨. شبر، جواد (١٤٠٩هـ). أدب الطف. بيروت: دار المرتضى.

٩. ضيف، شوقي (١٤٢٨هـ). تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات. قم: منشورات ذوي القربى.

١٠. كورتيس، جوزيف (٢٠٠٧). مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية. ترجمة جمال حضري، الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف.

١١. المجلسي، محمدباقر (دون تا). بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. طهران: مؤسسة الإسلامية.

١٢. مرتاض، عبدالملك (٢٠٠٥). التحليل السيمائي للخطاب الشعري: تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

١٣. يعقوبي، محمدعلي (١٩٥١). البابليات. قم: دار البيان.

١٤. وغليسي، يوسف (٢٠٠٨). إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد. الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف؛ بيروت: الدار العربية للعلوم.

١٥. الويري، محسن (١٣٨٤ش). شيعيان از سقوط بغداد تا ظهور صفويه. طهران: نشر جامعة الإمام الصادق.